مكة في جغرافية القرآن

مراجعة للقسم السادس من كتاب **جغرافية القرآن**

(تحت عنوان: بحث في المراجع الجغرافية في القرآن :

تأليف دان جيبسون ومنشورات مطبعة العلماء المستقلون 2011)

تلخيص : جيريمي سميث

المقدّمة

هذا الكتيّب هو إستعراضٌ للقسم الاخير من كتاب دان جيبسون الاكاديمي : " جغرافية القرآن." الكتاب الاصلي يتكوّن من 470 صفحة مع اكثرمن 170 صورة توضيحية وخطوط الوقت وملاحق ومراجع متعددة. الكتاب متوفر بالغلاف القاسي من مطابع الادباء المستقلون (http://www.indipress.ca) يتفحّص الكتاب الاصلي المراجع الجغرافيّة المختلفة من القرآن مع مقاطع كاملة أُعطيت الى شعوب عاد وثمود ومديان ولسكان المدينة المنوّرة وللناس في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام . لكن هذه المقاطع غير مذكورة في هذا الاستعراض.

يتناول هذا الكتاب بالاحرى، الجزء الاخير من كتاب "جغرافية القرآن" مركّزاً الاهتمام على "مدينة الاسلام المقدسة". يعرِض جيبسون في هذا الكتاب نتائج بحثه بان مدينة البتراء في الاردن هي "المدينة المقدسة" في الاسلام، فالذي حدث، انه بعدما يقرب من مئة سنة من وفات محمد، حوّل حكام العراق العباسيون، قرية مكة في السعودية الى "مدينة الاسلام المقدسة". للوهلة الاولى تبدو ان هذه النظرية لا تُصدّق، لكن جيبسون يقدم الادلة الاثرية الساحقة، والبراهين الادبية والتاريخية ليبرهن ويدعم موقفه هذا. في حين ان معظم الناس لن تقرأ الدراسة الاكاديمية الاصلية، لكن من المرجو انه من خلال هذه المراجعة الأستعراضية يمكنك ان تتعرف الى هذه الدراسة وتتفهم اكثر ما يصارعه الاسلاميون الاكاديميون حول هذا الموضوع.

دان جيبسون، مؤلف "جغرافية القرآن" هو مؤرّخ كندي عاش فترة طويلة يدرس تاريخ شبه الجزيرة العربية. هو مؤلفٌ لعشرات من الكتب، منها كتاب "الانباط" و "بنّاؤ البتراء" ، بالاضافة الى العديد من المقالات والدراسات العلميّة. يمكن الاتصال به على :www.searchformecca.com لقد اكتسب موقعه الاكلتروني :http://Nabataea.net الكثير من القراء من حول العالم، ذلك لسبب إتساع وعمق أبحاثه عن حضارة شبه الجزيرة العربية في العصور البدائية. وبعد ان صرف السيد جيبسون عدة عقود من الزمن في شبه الجزيرة العربية عاد ليقيم مع عائلته في كنده حيث يتابع ابحاثه وكتاباته .

الجزء الاول

الفصل الاول

كل يوم ، خمس مرات في اليوم ، يسجد اكثر من بليون مسلم ويقدّموا الصلاة لله ، كما اعطاهم اياها نبيهم محمد. كل يوم ، خمس مرات كل يوم، يتّجهوا بسجودهم نحو صخرة سوداء بعيدة هناك في مكة، ويقدموا انفسهم من جديد لدين الاسلام. كل يوم ، خمس مرات في اليوم ، ينحني المسلمون من جميع اطراف العالم، بشكل جماعي، ليعبّروا سويةً عن تضامنهم للاسلام، وان نبيهم هو محمد، وان كتابهم هو القرآن وان الكعبة هي مكانهم المقدّس .

على مدى الف واربعمائة سنة صلّى المسلمون باتجاه المدينة المقدسة مكة ، دون ان يسأل أحدٌ يوماً ما عن سبب فعل هذا االايمان ... وتستمر هذه الممارسة الى يومنا هذا. الكتاب الذي تقرأه الان ، هو استعراض ملخّص لعدة فصول أبحاث اكاديمية من "جغرافية القرآن"، نُشر عام 2011 م، حيث يدّعي ان مدينة البتراء في جنوب الاردن والتي تبعد اكثر من الف كيلومتر شمالي مكة، كانت بالفعل مدينة الاسلام الاصلية. يندهش معظم الناس عندما يكتشفوا بان مدينة مكة مذكورة مرة واحدة فقط في القرآن (سورة 48). لقد سار مفسرو القرآن على تقليد ربط هذه المرة الواحدة الى مكة، إشارة لوادي البكا (اي الوادي الذي فيه البكاء الشديد) المذكور عنه مرة في سورة 3 :96 . تأتي في القرآن إشارات الى الاماكن المقدسة والكعبة والبيت. اصبحت اليوم هذه الكلمات مرتبطة بمكة. **مع ذلك فلا يذكر لنا القرآن ان الكعبة تقع في مكة**. سنلقي نظرة سريعة في هذا الكتاب على ادّعاء جيبسون بأن علم الآثار والكتابات التاريخية الاسلامية المبكّرة كلها تشير الى البتراء، وان مكة ليست "المدينة الاسلامية المقدسة".

لا يرى العلماء المسلمون سبباً ليشكّوا بما هو معروف عامةً بموقع مكة الحالي، لكن المؤرخين قد أثاروا في السنوات القليلة الماضية أسئلة حول الأمر. مثلا، ذكرت الدكتورة بتريشا كرون في كتابها "التجارة المكيّة وظهور الاسلام" ان الاوصاف الاسلاميّة الادبيّة لمكة لا تبدو انها تتوافق مع مركز مكة الجغرافي الحالي. مثلا، يصف الأدب الاسلامي المبكّر "المدينة المقدسة" بأسم: "أم المدن" او " أم القرى". يتبادر الى الذهن من هذه العبارة، إما مدينة كبيرة مثيرة للأعجاب او مدينة كبيرة قديمة. في سنة 2002 سأل جيبسون عدة علماء آثار اردنيون وسعوديون عن سجل الأثار حول مدينة مكة. من المؤسف انهم لم يرغبوا في اعلان اسماءهم حول هذا التصريح، لكنهم وافقوا بانه لا يوجد اي سجل آثار لمكة قبل سنة 900م. توقّع جيبسون منهم ان يدافعوا عن الفكرة بأن مكة القديمة كانت مدينة ذات أسوار، مليئة بالبيوت والجنائن والمباني العامة والمعابد الخ...لكنهم هزّوا رؤوسهم قائلين " لا لم يوجد شئ من مثل ذلك هناك".

تُوصف المدينة المقدسة : " مركزٌ للطريق التجاري". هناك العديد من المناسبات حيث يُذكر ان القوافل التجاريّة تغادر وتجيء الى "المدينة المقدسة"، كما ان عم محمد، ابو طالب كان تاجراً يُرسل بانتظام القوافل بمهمّات تجاريّة. في حين يصرُّ المسلمون على ان مكة كانت مركز الطريق التجاري، لكن المؤرخين العصريين يعطوننا صورة مختلفة عن ذلك. تفيد الدكتورة باتريشا كرون ما يلي:

" كانت مكة بقعة جرداء. اذن، فالأماكن الجرداء القاحلة من الطبيعي ان لا تكون محطة تجاريّة مريحة. وان وُجِدت مثل هذه المحطات فقد تتوفر على مسافة مجاورة لمحيط اخضر. ونتساءل لماذا ستنزِل القوافل في طريق شديد الانحدار الى مكان قاحل مثل مكة بينما بامكانهم التوقف في منطقة الطائف الخضراء الغنّاء."

لقد تصوّر معظم المسلمون وبعض العلماء الغربيون ان القوافل كانت تحمل البخور والتوابل والبضائع الغريبة، لكن بحسب أبحاث السيد كستر و سبرنجر، فان عصر رواج اللبان كان قد ولّى، وأصبح العرب مهتمّون في تجارة الجلود والثياب، فمن الصعب ان تكون مثل هذه البضائع تعمل على انشاء امبراطورية تجاريّة ذات أبعاد دوليّة.

وان كانت هذه المدينة المقدسة مدينة كبيرة، فمن المستغرب ان اسم مكة مفقود على الخرائط القديمة. يتوقع المرء عندما تُذكرمدينة تجارية مهمّة في شبه الجزيرة العربية بان يكون لها ذِكر في السجلات القديمة. الخرائط القديمة لا تدّعي بانها تبّين كل قرية ومستوطنة، لكنها تذكر بالتأكيد الاماكن المهمّة المشهورة. من العجب انه ليس من خريطة واحدة قبل سنة 900 م ذكرت اسم مكة.هذا يعني مدة 300 سنة بعد ظهور محمد.

لقد جمع جيبسون على مر السنين نسخاً من خرائط قديمة لشبه الجزيرة العربية وترجمها وكتب رسائل لمصادرها، لكن ليس من واحدة منها تذكر اسم مكة. أضف الى ذلك بان القرآن والحديث يتحدثان بوضوح بأن مكة موجودة في وادٍ، وانه يوجد وادٍ آخر صغير ومجرى نهر قرب الكعبة. هذا يختلف تماما عما نرى عليه مكة اليوم، والذي يحصل فيها فيضان بين فترة واخرى خلال فصل الربيع لكنها لا تحوي اي نهر.

تحدّث جيبسون مع العديد من الحجاج الذين زاروا مكة وعن طبيعتها، فأبدى البعض منهم عدم الرضى بالجغرافية الغامضة حولها. كذلك تُوصف "المدينة المقدسة" أنها مُحاطة بالجبال حيث يستطيع الناس ان يشاهدوا المارّة فيها من أعلى ويشاهدوا الفيلة اليمنيّة تهاجم الكعبة. اما في مكة اليوم فتجد ان

اقرب الصخور اليها هي على بُعد نصف كيلو متر من الكعبة، مع وجود صعود (تضاريس) تدريجية الى اعلى !!!

لا وجود لآثار ايّة تحصينات على هذا الجبل. اما بقية الجبال فأقربها يقع على بُعد ثلاث كيلومترات منها. فهل يمكن رؤية الفيل من هذا البعد. كم يستطيع الانسان ان يلاحظ وقائع معركة من هذه المسافة؟

الواقع انه قد اصيب الكثير من الحجاج بخيبة الامل بوجود جبلين بإسم الصفا والمروة في مكة. انهما صغيرين لدرجة انهما اصبحا ضمن منطقة حرم الجامع. هناك وصف آخر قبل الاسلام عن مكة، بانه يوجد صنمين او مكانين للعبادة، واحد على رأس كل جبل. واليوم لا يوجد اي دليل أثري لمثل هذه الاصنام، ولا أية قواعد للمعبد، او كتابات او جدران او ابواب او درج لصعود الجبل.

حسب النصوص الادبية الاسلامية الاولية، ان جبل حيرة يواجه المدينة وانه يقع في الجزء الاعلى من مكة. الواقع ان جبل حيرة هو بعيد عن مكة في مسافة بعيدة عن الكعبة ولا يشرف على المدينة.

وحسب الادب الاسلامي المبكِّر، توصف مكة بأن لها مكان مرتفع وآخر منخفض، طريق يمر بها من جانب لآخر. نرى اليوم ان مكة تقع في مكان سهل منفتح وجبال صخرية صغيرة ترتفع وسط الرمال. لا وجود لمكان مرتفع وآخر منخفض، مما يفيد ان الكتّاب الاسلاميون المبكّرون كانوا يتحدثون عن موقع آخر وليس عن مكة الحاليّه.

تُخبرنا النصوص القديمة ان العشب كان ينمو في وادي "المدينة المقدسة" الاصليّة. من الصعب ان نصدّق ان هذا ينطبق على مكة التي نعرفها الان، حيث ان الارض التي تُحيط بمكة الان هي صحراء رمليّة لا عشب ينمو فيها بشكل طبيعي، كما لا يوجد اي دليل بان تلك الارض كانت تُروى بالمياه التي تكفي لنمو الاعشاب.

يروي الطبري قصة، كيف ان "عبد الله" والد محمد زار زوجةً له غير آمنه. فقد كان يعمل في الحقل وكانت آثار التراب عالقة بجسده وثيابه فجاء اليها طالباً ان ينام معها. فرفضت طلبه الى ان ينظّف نفسه. فذهب خارجاً وغسل التراب العالق به، لكنه تركها وذهب الى بيت آمنه بدلا من العودة الى تلك المرأة. وهكذا حُبل بمحمد. يقول ر.ب. سرجنت في تعليقه على ما ترجمه ألفرد غولام لهذه القصة في سيرة محمد، انه في حيرة من هذا الارتباك من ان الكلمة العربية تعني بالتحديد - قطعة ارض زراعية وتشير الى

الطين والوحل. ثم ينوّه قائلا انه لا توجد ارض زراعية قرب مكة. وهذه مرّة أخرى نجد ان الوصف القديم لا ينطبق على مكة في السعودية.

هناك ايضاً إشارتين عن "المدينة المقدسة"، وهما مناطق مكة واشجار في مكة . فالقرية القديمة مكة قليلة الآثار جداً جداً، ولم يكن لها مناطق تابعة لها. وبالنسبة للأشجار، ذكِرَ بان المدينة المقدسة فيها أشجار مثمرة وكروم عنب في جوارها. ومرةً أخرى نقول، من الصعب ان نتصوّر ان مثل هذا كان موجودٌ في موقع مكة الحالي .

يُقال ايضاً ان "المدينة المقدسة" جنّدت جيوش كبيرة . من الظاهر انه لم يكن لمكة متاعب كي تجنّد اعداداً كبيرة من الناس لتحمي القوافل، الى حد انها تُسيّر جيوشاً لحمايتها. يستشهد جيبسون بالسجلات التاريخيّة بأنه قد قِيلَ عن مكة انها قد جنّدت تكراراً مئات الجنود وآلاف الجمال، وفي احد المرُات جنّدت عشرة آلاف جندي، وقاموا بمهاجمة المدينة – يثرب . عندما نضع في الاعتبار عدد الجنود والجمال التي جهّزتها مكة بالرغم من الخسائر التي كانت تُمنى بها من جراء المعارك المتواصلة سنة بعد سنة، نتصوّر ان المدينة المقدسة كانت ضخمة وكبيرة. اما الدلائل الاثرية فتشير الى ان مكة ما كانت إلاّ بلدة صغيرة في منطقة جافة جرداء، فكيف الحال أذن ان نقول بانها قد انتجت جيوشاً كبيرة؟

يُشير جيبسون الى ان هذه المعلومات المتضاربة جعلت علماء الاثار والمؤرخين يشعرون بان هناك تبايناً كبيراً بين الاوصاف القديمة لمكة وبين ما نعرفه عن تاريخ مكة الحقيقي.

يقبل العديد من عامة الناس اليوم ان مكة لم تكن مجرد مدينة كبرى وحسب لكنها كانت محوراً للحج في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام . وبينما يوجد القليل من الأدلّة لأي مزار في مكة قبل الاسلام، فان جيبسون يشير الى ان كل مؤرخ في السعودية يقول بان الحج كان دائما يجري نحو مدينة الانباط - البتراء، حيث كانت تُعرف في الجزيرة العربية "بمدينةالحرام " او " المدينة الممنوعة".

وبينما كان يوجد العديد من الاماكن المقدسة في العربية، إلاّ ان مدينة البتراء كانت تبرز على انها المكان الرئيسي المقدس للعرب حيث كانوا يدفنون موتاهم جاعلينها مزارهم المقدس او المكان الحرام في بلاد العرب قديماً.

يكتب المؤرخ الاسلامي الطبري في سنة 900 م. انه كان يوجد نوعان من الحج عند العرب قبل الاسلام. الحج الاصغر يدعى العُمره. يُذكر ان عبد المطلب (جد محمد) قد مارس العمرة مرةً. حدث هذا مرة عندما كان يتواجد العديد من الاصنام في "المدينة الاسلامية المقدسة". من بعض هذه الاصنام ما كان يُدعى: هوبال,إساف ونايله. ويخبرنا القرآن بان رحلات الحج قبل الاسلام كانت تدعى: الحج الكبير والحج الصغير- العمره. هكذا كانت تُستعمل هذه المُصطلحات قبل الاسلام واستمرت بعد الاسلام، كما لا تزال تُستعمل حتى اليوم اذ يُمارس المسلمون زيارتين من الحج السنوي.

يخبرنا جيبسون بان الحج العربي كان يجري قديماً الى المركز الديني في وسط العربية، الى مكان الحرام، الى مكان الدفن المقدس في البتراء. ففي هذه المدينة كان العرب الانباط يدفنون موتاهم، وفي هذه المدينة كانت تجتمع العائلات او القبائل لتمارس وجبة طعام تذكاراً لموتاهم المدفونين هناك. فهذه العادة كانت جزء من الممارسة الحضارية لشعب الانباط وأُعتبرت انها الممارسة التي تجمع هؤلاء التجّار الرحّل وتوحِّد مُلتقاهم. يستطيع الزائر اليوم الى البتراء ان يرى قاعات الاحتفالات المتصلة بالمدافن القديمة حيث كانت تجري تلك التجمعات العائلية (القَبَليّه) التي تحتفل بالاحياء والاموات.

يُثير جيبسون ايضاً موضوع " القبلة" عند الاسلام. ليس المقصود كيف تُشاد الجوامع لتواجه ناحية الصلاة المقبولة، لكن توجد علامة مُميّزة معماريةٌ خاصةٌ تُبنى ضمن الجامع لتشدد على اتجاه الصلاة المقبول. فاتجاه القبلة هو إتجاه الصلاة عند المسسلمين. واليوم لكل جامع محراب معيّن في الحائط الجنوبي منه، هذا هو بمثابة دليل الاتجاه الذي يشير الى مكة. اما الجوامع في الفترة المبكرة من الاسلام فلم يكن لها فجوة هذا المحراب، لأن الجوامع كانت ببساطة تُشاد بحيث انه عندما كان يصلي المؤمنون كانوا فقط يواجهون حائط القبلة، إشارة تلقائية الى "المدينة المقدسة".

يُعَير المسيحيون اليوم انتباها قليلاً الى موضوع الاتجاه عند الصلاة. الله موجود في كل مكان بالنسبة لهم، وعندهم كامل الحريّة في الصلاة في اي إتجاهٍ أرادوا. كذلك اليهود ايضا، ليس عندهم اي إتجاه معيّن عند الصلاة، مع ان البعض يتوجهون نحو موقع هيكل سليمان في القدس استناداً الى الملك سليمان عندما دشّن للرب يهوه، بناء الهيكل في اورشليم.

من المفهوم عالمياً عند الاسلام ان إتجاه القبلة قد تغيّر، ومذكور في القرآن عن هذا التغيير. لكن النص القرآني لا يذكر اسم المكان الذي كانت تتوجه اليه الصلاة سابقاً ولا اسم المكان الذي تغيّر نحوه، ولا متى جرى هذا التغيير. يذكر المؤرّخ الطبري في سنة 920 م، انه عندما أُثير موضوع اتجاه الصلاة قبل الاسلام، أشار عليهم محمد ان يصلوا باتجاه سوريا. من جهة ثانية يستشهد جيبسون ان القرآن والحديث

والكتابات الاسلامية المبكّرة لا تشير اطلاقاً ان القبلة هي باتجاه القدس. ولم يُوتى على ذكرهذا في الأدب الاسلامي حتى بعد مدّة ثلاثمائة سنة من موت محمد. كل السجلات المبكّرة تدوّن ببساطة ان محمد كان يصلي باتجاه سوريا. لو صلّى باتجاه القدس فسيكون ذلك مُستغرَباً لأنه ليس من سجل يذكر القدس. بالطبع كانت القدس معروفة كمركز ديني مهم. لكن محمد، حسب السجلات القديمة ، كان يصلي باتجاه سوريا حتى شهر شباط من سنة 624 م ، اذ أصبحت السجلات الاسلامية تشير الى ان محمد قد غيّر اتجاه القبلة نحو مكة.

يُساند علم الآثار موضوع إتجاه القبلة. هناك العديد من الجوامع الاولى التي كانت تتوجه الى غير مكة. درس جيبسون باعتناء هذه الجوامع الاولى مبيّناً التفاصيل عن ابنيتها وقبلتها داعماً دراسته بالصور الجويّة لها. بدأ دراسته عن الجوامع الاولى معتقداً ان بعض الجوامع التي بُنيت خلال حياة محمد قد تساعده ليقرر اتجاه محمد في الصلاة. مع هذا، فقد أُصيب بالصدمة، اذ اكتشف انه حتى بعد مرور مئة سنه من وفاة محمد، فقد كانت هذه الجوامع خلال المئة سنه لا تزال تتوجه نحو سوريا. وبالاستناد الى مواقع هذه الجوامع رسم خطوطاً على خريطة ليتعرّف أين تتقاطع هذه الخطوط. وعند فحص تاريخ بناء هذه الجوامع لاحظ ان التاريخ الاسلامي يذكر ان سنة 624 م كان تاريخاً غير صحيح. حيث ان علم الآثار يبيّن بوضوح ان إتجاه القبلة قد تغيّر بعد هذا التاريخ بكثير. ان درس كلٌ من هذه الجوامع مسجّل في كتاب جيبسون الاكاديمي "جغرافية القرآن" ويمكن الرجوع اليه على موقع : http://indipress.ca/feature.html

تغييرات القبلة

البتراء	تضارب في الاتجا ه	مكه
تشير ۱۰۰ % باتجاه القبلة (الجوامع التي تبرهن ذلك)	۱۲٪ باتجاه البتراء ٥۰ % باتجاه مكة ۳۸ % باتجاه متوازي	۱۰۰ % باتجاه مكة
۱ هـ - ۱۰۷ هـ ٦۲۲ م - ۷۲٥ م	۱۰۷ – ۲۰۷ هـ ۷۲٥ م – ۸۲۲ م	۲۰۷ هـ – حالياً ۸۲۲ م - حالياً

الحرب الاهلية الثانية — بداية حكم العباسيين

الفصل الثاني

يُورد جيبسون في كتابه "جغرافية القرآن" عدة جوامع حسبما استطاع ان يجد وبحسبِ تاريخ تشييّدهم. ويشير لكل واحد وإتجاه قبلته. يزوّدنا احيانا ببعض الصور من الجو التي توضّح اتجاه مكة وكذلك إتجاه البتراء حيث يعتقد أنه كانت توجد "المدينة المقدسة الاسلاميه".

مثلا؛ هناك جامع في السعودية معروف بجامع القبلتين. يُذكر ان هذا الجامع هو المكان الذي أُشير الى من كان يقود الصلاة فيه بأن يُغيّر إتجاه القبلة، فاستدار180 درجة مئوية . يُقال انه صدرت اليه الاوامر ليغيّر اتجاه الصلاة (القبلة) من القدس الى مكة. يَنفرد هذا الجامع بوجود محرابين فيه. تمّ ترميم هذا الجامع عام 1987 م ، فالغوا محراب إتجاه الشمال وأبقوا على المحراب المتجه نحو الجنوب – الى مكة. لكن عندما هُدم الجامع بغرض ترميمه، أظهرت حجارة الاساس بانه كان موجّها نحو البتراء والقدس ، اذ انهما بنفس الاتجاه من موقع المدينة المنوّرة. يقول جيبسون بان هذا هو سبب الادّعاء بأن القبلة الاولى كانت بأتجاه القدس.

مع هذا فليس هذا هو الجامع الوحيد ذو القبلتين. هناك جامع الفسطاط الذي بُني سنة 641 م قرب القاهرة. وتبيّن ان أساس المبنى الاصلي لهذا الجامع يتجه في قبلته نحو البتراء، لكن قد عُدّل أساسه بعد عدة سنوات. ويتابع جيبسون دراسته لأكثر من اثني عشر جامعاً كانت كلها تشير في قبلتها نحو البتراء وليس نحو القدس.

يُقدّم جيبسون في كتابه "جغرافية القرآن" اثنين وثلاثين صفحة من العناوين الرئيسية للتاريخ الاسلامي. يشرح في هذه الصفحات كيف تغير إتجاه قبلة الصلاة من البتراء الى مكة عندما قام أبن الزبير بثورة في"المدينة المقدسة" (البتراء). يدوّن كذلك كيف تمّ تخريب الكعبة ثمّ كيف جرى إعادة بنائها. يشير جيبسون الى انه بعد هذه الحادثة ابتدأ تصميم الجوامع بتحديد إتجاه القبلة. ثم يقول انه خلال حكم عثمان بن عفّان سنة 644 – 656 هجرية. أصدر الخليفة أمراَ بوضع علامة على حيطان الجوامع في المدينة المنوّرة حتى يعرف الحجاج بسهولة في اي اتجاه يجب ان يوجّهوا صلاتهم. ويشير جيبسون كذلك الى ان هذا الأمر كان تطوراَ غريباَ، اذ انه حتى ذلك الوقت كان المسلمون يتجهون في صلاتهم الى أي إتجاه حيث ان البناء برمته كان يتجه للقبلة ، والأن اصبح هناك علامة محددة على حيطان الجوامع القديمة. هذا دليل واضح على ان قبلة جديدة قد اصبحت في عين الإعتبار يلزم التقيد بها.

بعد زمن قصير من هذا، تمّ تجديد بناء جامع النبي في المدينة المنوّرة ، فأمر حاكم المدينة بوضع علامة على الحائط لتبيّن الاتجاه الجديد للقبلة. ووُضعت العلامة التي أمر بها الخليفة عثمان داخل تلك الدائرة. بناءً على ذلك، اصبحت سمة القبلة رمزاَ عالمياَ إسلامياَ لتشير الى اتجاه القبلة، وتمّ اعتماد مثل هذا الوسم في كل جامع يُبنى بعد ذلك التاريخ. من الواضح ان اعتماد المحراب قد تطوّر حسبما

ذكر جيبسون وبدأ تغييراتجاه القبلة. ونتيجة لذلك فقد حصل إرتباك حول طريقة الصلاة، وأخذت الجوامع القديمة تتبنى الاتجاه الجديد للمحراب حتى يستطيع المؤمنون ان يقّدموا صلواتهم بالاتجاه الجديد.

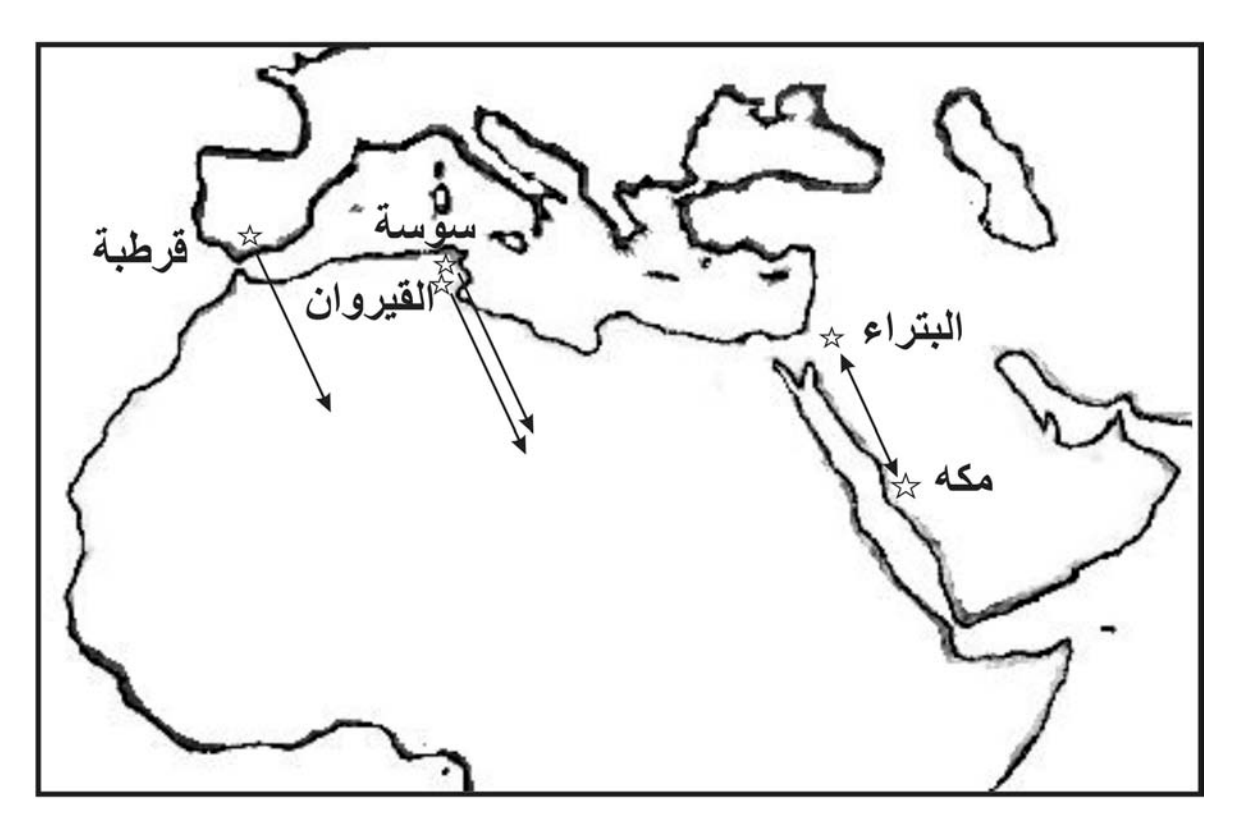
يخبرنا جيبسون بان "زمن الارتباك" بدأ حوالي سنة 107 هجرية. وخلال المئة سنة التي لحقت أخذت الجوامع الجديدة تشير باتجاهات مختلفة. مثلا، الجوامع التي بُنيت في قصور الحي الغربي والحي الشرقي بقرب تدمر – سوريا ، كان لكليهما نقطة اتجاه ما بين البتراء ومكه.

لكن جامع مشطا الذي شُيّد في الاردن بعد ذلك الوقت لا يزال يتجه نحوالبتراء. اما جامع المنصور الذي شُيّد بعد بضعة سنين، اي سنة 754 م فهو يشير بوضوح الى إتجاه مكه.

وهناك الجوامع التي شيّدت في شمال افريقيا واسبانيا خلال هذه الفترة فان إتجاهاتها تختلف. ونجد ان حجارة الاساس لقلعة الرباط في سوسه بتونس وُضعت سنة 770 م كان إتجاه القبلة فيها نحو الجنوب فقط وليس باتجاه البتراء او مكة. وسرعان ما تبعه بعد ذلك تشييد الجامع الكبير في قرطبه – اسبانيا سنة 784 م وتشَابَه مع جامع سوسه بعدم الإشارة الى اي من مكه او البتراء، لكن فقط باتجاه الجنوب. يشكك جيبسون بالقول انه بما ان الامويين كانوا حكام - اسبانيا وكانوا في عداوة مع العباسيين حكام - العراق لذا كانوا يرفضون ان يصلّوا بنفس اتجاه القبلة الى مكة، شعوراً منهم انهم لا يستطيعون ان يتجهوا نحو "المدينة المقدسة" الاصلية حيث ان الحجر الاسود لم يعد موجود في البتراء. كذلك نجد انه بعد بضعة سنين شُيدت الجوامع الكبيرة في القيروان والجامع الكبير في سوسه باتجاه الجنوب وليس باتجاه البتراء او مكة. كان هذا ما **نسمّيه زمن الارتباك**.

لقد حيّرت المؤرخين هذه الجوامع التي بُنيت في اسبانيا وشمال افريقيا ، لكن يقول جيبسون اذا كنا نريد فهم لغز ذلك علينا ان نعرف ماذا كان يجري في الشرق الاوسط في ذلك الوقت. فبعد سنة 133 هجرية (750م) تغلّب العباسيون حكام العراق على الامويين في سوريا وجعلوا بغداد مركز الحكم الاسلامي. ومنذ هذا التاريخ اخذت كل الجوامع في الشرق الاوسط (العباسيّه) تشير الى مكة. لكن الامويون بقوا يحكمون اسبانيا وشمال افريقيا، وهكذا انقسم الاتجاه الاسلامي الى اثنين ، العباسيون في الشرق والامويون في الغرب. وبينما استمرت الصراعات والثورات المدنيّة في الشرق ، لكن كان الامويون ينعمون في الغرب بالتوسع العلمي والثقافي والعمراني.

وباستثناء مسجدين ، من المرجّح ان اساسهما قد بوشر به قبل استيلاء العباسيين، فأن كل الجوامع العباسيّه اخذت تواجه مكة ، بينما بقيّة الجوامع الاخرى اخذت اتجاها آخر. يميل جيبسون الى القول ان بناء الجوامع في شمالي افريقيا واسبانيا كان يجري على خط متواز بين البتراء ومكة.



بعد ان يقدّم لنا جيبسون عدة صفحات من إيضاحات الآثار باالجوامع الاوليّه التي كانت تواجه البتراء ، يذهب جيبسون الى المصادر الأدبيّه القديمه. نراه يجد ان الاوصاف الاولى لمكة تقول بان المدينة لها ناحية عاليه وأخرى منخفضه، وهذا وصف غير موجود حالياً في مكة. يُشير كذلك الى ذِكر شقيّن صخريّين كان يدخل منهما النبي الى المدينة. ويُشير ايضاً الى ان هذه الأوصاف المبكّرة تذكر اسم أسوار مكه. يؤكد جيبسون ان لا وجود اطلاقاً في مكة لأي شقوق صخريّةٍ او آثار سورٍ للمدينة. وكان للمدينة المقدسة أسوار تَسدُ فجوة الوادي لتكون حاجزاً يحمي المدينة من المهاجمين الذين يسلكون طريق الوادي. للبتراء منطقتين عاليه ومنخفضه ولها مدخلان، كلاهما من بين شقيّن صخريّين. يدخل السيّاح اليوم الى مدينة البتراء من خلال شق يعرف "الشق". اما الشق الآخر او المنخفض الآخر فيقع في الجزء الأخير من الشارع المليء بالاعمدة ويقود الى منخفضات من الاودية تمتد تلقائياً الى وادي العربه.

بعد ذلك يأخذنا جيبسون الى كتاب قديم يُدعى "الزمرّد". وبينما لم يصمدهذا الكتاب الى يومنا هذا، لكن نستطيع ان نستتشف مما تضمّن به ومن خلال ما استشهد به علماء حاوروا ضدّه. يذكر "زمرّد" ان رحلة محمد في الليل من "المدينة المقدسة" الى القدس لم تكن معجزة، لأن المدينتين غير بعيدتين عن بعضهما، مما يُمكن السفر من الواحدة الى الأخرى في ليلة واحدة. لقد رفض المسلمون صحّة هذا الكتاب لأنه يذكر مثل هذه الوقائع. لذا، فان كانت "مدينة الاسلام المقدسة "هي البتراء، فان أوصافها تتفق تماما مع ما ورد. فالمسافة بين البتراء والقدس هي مئة ميل فقط. ومع انّ مثل هذه الرحلة ستكون مضنية على ظهر الحصان، لكن من الممكن انجازها خلال اربع وعشرين ساعة مع بذل مجهود معيّن. لكن بعد مئات من

السنين، وبعد ان نسي المسلمون مدينة البتراء، اصبح كتاب الزمرّد سخيفاً بالنسبة لهم. لكن مع هذا فان رحلة محمد الى القدس مقبولة لديهم كأعجوبة.

لاحظ جيبسون خلال دراسته لكتب الأدب الاسلامي الأولى عدم وجود اي ذِكر لمدينة البتراء في تلك الكتب. بما ان مخطوطات البتراء تخلق صورة عارمة عن البتراء وامكانياتها القوية لتستمر في الوجود رغم وجودها بعيدة عن ساحل البحر وعن المدن الأخرى، فلماذا لم يُذكر شيء عن البتراء في الكتب الادبيّة الاسلامية؟ هناك سجلات عن أُناس مشهورين مروا مع جيوشهم في تلك المنطقة، لكن لم يؤتى على ذكر أي منهم للبتراء. وفي نفس الوقت لا نجد اي ذِكرٍ لمكّة في كتب الأدب حتى سنة 740 م عندما جاء ذكرها في "اليوميات البيزنطيّه العربية".

ان كانت مدينة البتراء هي "المدينة الاسلامية المقدسة" قبل نقل الحجر الاسود الى مكة، ألا يبدو ذلك منطقيا بان الكتّاب المسلمون لم يأتوا على ذِكرها بعد ذلك؟ هل من الممكن انه جرى نقل مواصفات البتراء الى مكة في العربية، وهكذا حُذ ف كل ذِكر للبتراء من الأدب الاسلامي؟

يتابع كتاب "جغرافية القرآن" عن أصل وجود الحجر الأسود، ويدوّن كيف ان هذا الحجر كان مركزاً للعبادة في الايام القديمة. يتكلم مكسيموس الصوري عن الحجر الاسود كما يذكره قاموس سودا ايضاً (Suda Lexion). ان مكان هذا الحجر كان في البتراء وليس في مكة.

بجانب تزويدنا بأكثر من اثني عشر برهاناً أدبيّاً بأن البتراء هي "مدينة الاسلام المقدسة" الاصلية، فان جيبسون يزّودنا كذلك بسبعة عشر برهانا تاريخيّاً على ذلك، منها وجود حجارة ضخمة تحدد المنطقة المقدسة حول المدينة المقدسة، وهذه موجودة في البتراء ولا وجود لها في مكة. يذكر المسلمون بان الاله "دوشاره" كان يُعبد في مكة، بينماالحقيقة ان "دوشاره" كان على وجه الحصر موجودٌ في البتراء. يَذكر جيبسون الى ان العاب الحظ كانت تُمارس في "المدينة المقدسة"، ويُشار الى انه قد وُجدَت عشرات من لوحات الحظ القديمة في البتراء.

يتابع جيبسون قائلاً ان البتراء تقع شمالي المدينة المنوّرة ، امّا مكة فهي جنوبها. ثم يشير الى انه قد ورد انه عند معركة المدينة، هاجمت جيوش قريش التي من مكة،هاجمت المدينة المنوّرة من جهة الشمال! كذلك خلال معركة الخندق، فان المدينة دافعت عن نفسها من خلال خندق بين جبلين عند الجهة الشمالية من المدينة. وعندما هاجمت جيوش المدينة المنوّرة "المدينة المقدسة" فان الجيوش سارت نحو الشمال، اي نحو البتراء وليس نحو الجنوب الى مكة.

ان تحركات العديد من الناس زمن محمد تبيّن ان مواصفات اسفارهم تتوافق مع اتجاه مدينة البتراء.

ان التفاصيل الاولى لمعركة مكة تثيرعدة نقاط معقّدة. جيوش المسلمين سارت الى شمال المدينة لتهاجم جيوش البيزنطيين في جنوب الأردن . وبعد انكسارهم الاول صمموا ان يهاجموا "المدينة المقدسة". يريدنا الأدب الاسلامي ان نصدّق بان الجيوش الاسلامية قد سارت نحو الجزيرة العربية لتهاجم مكة قبل ان تعود كل الطريق شمالا لتحارب جيوش البيزنطيين.

يكتب جيبسون قائلاً: لنضع في عين الاعتبار المسافة التي كانت ستقطعها الجيوش. فالمسافة من المدينة الى مؤته في الاردن هي تسع مئة كيلومتر، باقرب خط مستقيم. من مؤته الى مكة هي اكثر من الف ومئتي كيلومتر. ثمّ ان المسافة من مكة رجوعا الى شمالي العربية السعودية هي الف كيلومتر. هذا يعني انه كان على الجيوش الاسلامية ان تقطع مسافة ثلاثة الاف ومئة كيلومتر في اراضي صحراوية مُحرقة وجبال وعرة واراضي جافة. يستعين جيبسون بالخرائط الجغرافية ليوضّح لنا وعورة هذه المسافات.

يعالج جيبسون نقطة أخرى، وهي وصف لمكة موجود في كتاب الطبري، حيث يشير الطبري الى ان جيش المسلمين قد هاجم المدينة المقدسة بدون ضوضاء وذلك عن طريق الاودية الملتويه ليصل الى جنائن مكة المسوُرة. ولذا يقدّم جيبسون صوراً جغرافية للأودية الملتويه جنوب البتراء والتي تتطابق مع وصف الطبري، وهذا الوصف ينطبق على البتراء وليس على مكة.

كما ذكرنا سابقاً من كتاب "جغرافية القرآن" – اذ يعتقد المسلمون ان مكة القديمة كانت مدينة مهمّه على طريق القوافل التجاريّة في شبه الجزيرة العربية. مع هذا فأن التاريخ لا يدلّ على ذلك اطلاقاً. قد يعتقد البعض ان بعض الممالك القديمة مثل اليمن، التي تقع الى الجنوب من مكة قد ساهمت في عمران مكة، لكن ليس من دليل تاريخي او من شاهدٍ من علم الآثار يثبت ذلك. لقد وُجِدت عدة ممالك صغيرة جنوب وشمالي مكة، لكن لم يوجد في اي منها ذِكرٌ لمدينة مكة ليفيد بان مكة كانت قائمة منذ آلاف السنين.

ثم يفحص جيبسون الادعاء القائل بان ضباط جيش المسلمين في العراق قرروا ان يقوموا بحجٍ سريع الى "المدينة المقدسة" في الوقت الذي كانت فيه جيوشهم تسير نحو مدينة أخرى. يريد التاريخ المتداول (التقليدي) منّا ان نصدّق انهم قد سافروا 3000 كيلو متر الى مكة بدل ان يكون 1500 كيلو متر الى البتراء ثم يعودوا بسرعة. هناك سجلات لتلك المسيرة، يتبيّن لنا انه لا يوجد وقتٌ كافٍ لقطع تلك المسافة الى مكة بتلك السرعة المرجوّة، اما المسافة الى البتراء فكانت أسهل واسرع بكثير، اذ ما عليهم الاّ ان يقطعوا الصحراء مباشرة الى الاردن بسهولة. ثمّ يكتب لنا جيبسون عدة صفحات واصفاً كيف قد امكن تحقيق تلك الرحلة ومواقع مخازن المياه في الصحراء آنذاك للعبور بتلك الرحلة من العراق الى الاردن بسرعة.

ان جميع هذه الدلائل تبيّن بوضوحٍ ان البتراء هي موقع "مدينة الاسلام المقدسة" وليست مكة. يقول جيبسون ان التاريخ الاسلامي سيكون اكثر وضوحاً لو قال ان البتراء هي "مدينة الاسلام المقدسة" ما قبل سنة 700 م وليس مكة.

الفصل الثالث

السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما الذي حدث حتى تغيّرت وجهة القبلة من البتراء الى مكة في تاريخٍ لاحق؟ يشرح كتاب "جغرافية القرآن" مُجريات الحرب الاهلية الاسلامية الثانية. ففي سنة 683 هجرية اي بعد 64 سنة من تأسيس الاسلام ، اعلن عبد الله ابن الزبير نفسه خليفة في "المدينة المقدسة". كان هذا أمراً معاكساً للحكام الامويين في دمشق، فما كان منهم إلا ان تجاوبوا بسرعة على عصيانه وأرسلوا جيشاً ضد " المدينة المقدسة". استمرت المعارك بين الجيش الاموي السوري وبين ابن الزبير واعوانه الى ان وصل نبأ يُفيد بوفاة الخليفة في دمشق. عندئذٍ أراد الاعضاء من أفراد العائلة الاموية المرافقين للجيش العودة الى دمشق. وبحسب تدوين الاحداث ومجرياتها وبحسب تاريخ الوقائع، يصعب التخيّل ان تكون هذه الجيوش السورية قد سافرت من مكة في السعودية لتصل الى دمشق بعد اربعين يوما من وفاة الخليفة، آخذين في الاعتبار وسائل النقل والمواصلات في تلك الايام.

يخبرنا الطبري ان ابن الزبير قد حطّم معبد الكعبة الى الارض ، حافراً أَساساته، ثم قلع الحجر الاسود من اساسه ووضعه في قفص خشبي ولفّه بالحرير.

وفي السنة الثانية اي سنة 65 هجرية ادّعى ابن الزبير انه اكتشف حجارة الاساس التي وضعها النبي ابراهيم. يعتقد جيبسون انّ إدّعاء هذا الاكتشاف حصل في مكة في السعودية. والارجح ان ابن الزبير قد أختار مكاناً بعيداً ليبقى الحجر الاسود سالماً من هجوم الامويين في دمشق، فبنى هناك معبداً للكعبة. أما الامويون فكانوا حينذاك منشغلون بصراعات داخلية، حيث توفي خليفةٌ بعد الآخر.

وفي سنة 68 هجرية ذهبت اربعة مجموعات مختلفة للحج، كلٌ منها كان تحت علم مختلف،لأنهم كانوا في خلاف ونزاع مع بعضهم حول موضوع نقل الحجر الاسود ام لا. هذا يبيّن بوضوح لماذا ذهبت كل مجموعة الى مكان مختلف. ثمّ حصلت ثورةٌ في دمشق مما جعل الانظار بعيدة عن المشاكل في "المدينة المقدسة".

يُشير جيبسون الى ان الطبري يخصص عدة صفحات لكل سنة في كتابه - التاريخ ، فيذكر لنا انه في سنة 70 هجرية اشترى ابن الزبير عدداً كبيراً من الجمال والاحصنة والمفروشات ، مما يُستنتج منه ان هذا كان لكي ينقل بها حاشيته واملاكه الى مكة، وهكذا تقرر إبقاء الحجر الاسود هناك في مكة.

كذلك فقد حدثت عدة ثورات أخرى في بلاد العرب سنة 71 هجرية. لقد ثارت مدينة الكوفه في العراق وانضمت الى ابن الزبير في ترويج القبلة الجديدة. واخبروا ابن الزبير انهم الشعب الذي سيتوجه الى نفس القبلة التي يعتبرها هو.

وفي سنة 73 – 74 هجرية حاصرت الجيوش السورية – الامويّة "المدينة المقدسة" البتراء ودمّرت الجزء الداخلي من المدينة مستخدمةً حجارة المنجنيق. واذا ذهبنا الى مكة فلن نجد فيها اي اثر لحجارة المنجنيق او اي آثار لأسوار لترمى من فوقها حجارة المنجنيق. لكن علماء الآثار اكتشفوا مئات من

حجارة المنجنيق مرميّة الى وسط الساحة العامة ،امام معبد "جوشاره" في البتراء. يعتقد جيبسون انه بتفحّص حجارة السطح التي سقطت من سطح المعبد الكبير القريب، سنتمكّن من تِبيان حدود المنطقة المحصّنة وحجارتها الى وقت قريب من تاريخ حدوث الزلزال الذي حدث سنة 551 م. وقد تغطت تلك الساحة برمتها من آثار ردم الانقاض التي سقطت من الزلزال الثاني الذي حدث سنة 713 م. ***ويتساءل جيبسون بخفةٍ، "اليس من المستغرب ان يتزامن استخدام حجارة المنجنيق ضد البتراء في نفس الزمن الذي يذكر فيه الطبري انه أستُخدِمَ ضد مكة؟" .***

شّيد البلاط الاموي وأبنية الجامع سنة 82 هـجرية في عمان باتجاه مكة. كان هذا سجل بناء لأول جامع باتجاه القبلة نحو مكة. من الغريب انه لا توجد اي سجلات لأول رحلات حجٍ ما بين سنة 83 – 87 هـجرية. يبدو ان اتجاه القبلة لم يكن مؤكدٌ ومتفق عليه بعد وخلال تلك السنوات، ولاً عن المكان الذي يمكن للحجاج ان يتوجهوا اليه. هل يذهبوا الى الابنية المدَّمرة في البتراء ام الى الكعبة الجديدة التي تضم الحجر الاسود في العربية.

والذي جرى انه خلال هذه الفترة الزمنيّة أبتدأ تعليق إشارات على الحائط في كل جامع لتدلّ على اتجاه القبلة الجديد. ويشير جيبسون الى انه في هذه السنة تغيّرحائط القبلة في جامع المدينة المنوّرة بحسب أمر حاكم المدينة الذي قال انه يجب تغيير الاتجاه الى مكة حتى وان أحتجّ الشعب ضد ذلك. وهكذا تقرر في سنة 89 هجرية ان إتجاه المحراب في الجوامع الجديدة لتحديد وجهة الصلاة.

يكتب لنا جيبسون عن سجل الزلازل في الشرق الاوسط خلال هذه الفترة، مشيراً الى انه قد حدثت زلزلة سنة 94هـجرية ودمّرت الجزء الكبير من البتراء مما جعل سكانها يهجرونها. يُعتقد انه بعد هذا الوقت اصبحت مكة المركز الجديد للكعبة، وكأنها في اعتقادهم المكان الموافَق عليه من الله للعبادة، كأن الله قد أمر بحدوث الزلزال. ويلاحظ جيبسون الى ان الجوامع الأمويّه في اسبانيا كانت في ذلك الوقت تتجه بقبلتها بخط متوازٍ بين البتراء ومكة. نجد كذلك، انه بعد عدّة سنوات من هذه، اي في سنة 122 هـجرية ظهر اول سجل لمكةً في "السجلات البيزنطية لبلاد العرب". ثم حدثت زلزلة جديدة سنة 128 هـجرية في سوريا والاردن واحدثت دماراً كبيراً. يدّعي جيبسون ان كلَ أملٍ قد انقطع بامكانية ارجاع الحجر الاسود الى "المدينة المقدسة".

وبعد اربع سنوات من ذلك، اي سنة 132 هـجرية بدأ حُكم العباسيين في العراق. وبما ان مدينة الكوفه في العراق كانت قد تبنّت سابقاً اتجاه القبلة في مكة، لذا فقد اصبحت كل الجوامع الجديدة تواجه مكة في السعودية، كما نجد ان نسخ القرآن التي كُتبت بالخط الكوفي تحتوي آياتٍ في السورة الثانية منها تشيرالى التغيّر في اتجاه القبلة. يعود جيبسون الى موضوع إتجاه القبلة المذكور في السورة الثانية من القرآن في آخر كتابه، حيث يزوّدنا بلائحة بنسخ القرآن الاولى ومحتوياتها. يشير الى انه لو لم يُغيّر وجه القبلة حتى سنة 70 هـجرية لما كان ذُكرً في قرآئين الكوفه. فليس من المستغرب ان القرآئين السابقة لم تحتوي على ايّةِ آيةٍ بخصوص هذا الامر

الفصل الرابع

هناك فصل شيّق في "جغرافية القرآن" يشرح كيف كانت تُقاس المسافات في زمن ما قبل الاسلام وكيف كانت تُستخدم النجوم لتجد الأمكنة بدقّة تامّة ولتحديد مواقعها واتجاهاتها، هكذا تمكّن المعماريون الاسلاميون من تحديد اتجاه القبلة بدقة متناهيه.

ثمّ يتابع بدراسته، كيف ان الحكام العباسيين قد اعادوا كتابة التاريخ. فقد شجّع هؤلاء الحكام العلماء ليدرسوا التاريخ القديم في فترة إبتداء الاسلام، اي قبل نحو مئتي سنة. يشير جيبسون الى ان هذه الدراسات قد قادت الى فراغ ادبي في الاسلام.

مثال على ذلك، يستشهد جيبسون برسالة من الخليفة عُمَر الى عَمر قائد الجيوش الاسلامية التي غزت مصر واحتلت الاسكندرية. سأل عمر بن العاص الخليفة عما يجب ان يفعل بألآف المخطوطات التي وجدها في مصر. ردّ عليه الخليفة قائلا:

هذا جوابي بالنسبة للكتب التي ذكرت. ان كانت محتوياتهم بحسب كتاب الله ، يمكننا الاستغناء عنهم، لأن في هذه الحاله عندنا كتاب الله الذي فيه الكفاية. لكن ان كانوا لا يحتووا على معلومات تتوافق مع كتاب الله، فليس من حاجة للاحتفاظ بهم. فأعمل على تدميرهم.

يقول جيبسون، انه بعد هذا تمّ إحراق مكتبة الاسكندرية. يُشير جيبسون بأن كاتباً مسلماً آخر هو ابن الكفتي، يخبرنا بان الكتب كانت تُوزّع على حمامات الشعب في الاسكندرية لاحراقها في تسخين مياه الحمامات. يكتب ابن الكفتي، "ان عدد الحمامات كان معروفا لكنني نسيتهم. يتابع قائلا، انه قد أُستغرِقَ ستة اشهر لأحراق تلك المخطوطات". يخبرنا يوتيخوس انه كان يتواجد اربعة آلاف حمام في الاسكندرية استلمت مخطوطات من المكتبة.

نجد إشارة الى هذا الامرفي الرسائل المتبادلة بين القائد المسلم عمر بن العاص والبطريرك المصري، نجدها في البترولوجيا الشرقيه. كما توجد مخطوطة سريانية تشهد لذلك وقد نُشرت مع تعليق في مجلة "الجورنال الاسيوي" سنة 1915 .

ان هذا الحرق للكتب لم يبدأ في مصر بل في ايران. فعندما زحفت جيوش الخليفة عمر نحو مدينة ستسيفون عاصمة الامبراطورية السسانية في ايران في اوائل كانون الثاني من سنة637 هجرية واحتلتها فانها اقدمت على احراق القصور والمكتبة الكبيرة في مدينة ستسيفون.

نجد مثال آخر لحرق المكتبات عندما غزا المسلمون بلاد الهند لاحقاً. كانت هناك مكتبة نالندا، أشهر مكتبة في العالم للديانة البوذية، كانت تحتوي على مجموعة من مئات آلاف المجلدات التي أُضرمت فيها النيران.

كذلك فان الكنائس المسيحية لم تسلَم من تخريب الجيوش الاسلامية بل عانت الكثير من الدمار. هناك قرار للخليفة الاموي يزيد الثاني، المعروف ب"قرار يزيد" سنة 722 – 723 هجرية حيث أمر بتدمير كل الرسوم المسيحية الموجودة ضمن سلطة الخليفة. حتى اليوم، نجد في الأردن برهانا أثريا واضحا على ذلك، اذ ان الكنائس القديمة في الاردن أزالت بنفسها او طمرت تلك الرسوم المُشاده بالموزاييك داخل الكنائيس، ويعود ذلك الى تلك الردهة من زمن دخول الاسلام الى الاردن. كما يستطيع المرء ان يلاحظ اليوم بوضوح، ان مدينة البتراء قد أُعدمت من الكتابات التاريخية بسبب اعمال المسلمين المتشددين خلال حكم الخليفة يزيد الثاني.

في نهاية المطاف نجد ان الكتاب الوحيد الذي سَلِمَ من دمار المسلمين هو "القرآن العظيم". مع ذلك جاهد ويجاهد المؤرخون ليعرفوا نصوصه الحقيقية. يعود السبب الى ان القرآن كان محفوظ غيباً شفهيّاً وليس كتابيّاً. ومع ان العرب كانوا أصحاب ذاكرة قويّة، اذ يقال ان بعضهم كان يحفظ القرآن غيباً. لكن حفظ المعلومات عن طريق الذاكرة فقط يواجه صعوبتين. الاولى، ان دقّة ذاكرة الاشخاص الحافظين يجب ان تكون حادّة. لهذا السبب نجد انه قد برزت جدالات حول صحّة عدة آيات عن كيفيّة إدائهم، او ما إذا كان يجب ان يكونوا في النص ام لا. الصعوبة الثانية، ان مشكلة نقل المعلومات من المُتعلّم الى المتبديء غالباً ما تكون خطوة صعبة. ففي مسألة القرآن، فان معظم الذين حفظوا القرآن كانوا محاربين. كما هو الحال، فان عدداً من هؤلاء المحاربين يكون قد مات خلال الحروب، وتكون معلوماتهم عن القرآن قد دُفِنت معهم، هذا واضح مثلا في معركة اليمامة ، حيث قُتِلَ اربع مئة شخص ممن كانواحافظين القرآن غيباً.

قام الخليفة عثمان بن عفّان بتجميع آيات من القرآن زمن حكمه وارسل نسخة من كلٍ منها الى كل مقاطعة اسلامية. ثمّ أرسل أمراً باحراق كل مخطوطة متداولة من القرآن سواءٌ كانت كاملة او جزئية. هذا يعني انه في زمن حياة الخليفة عمر كان هناك خمس نسخ فقط موجودة من القرآن في كل البلاد العربية.

وهكذا عندما أعاد الكتّاب العباسيون كتابة التاريخ الاسلامي فلم توجد مخطوطات معاكسة او مساندة لصحّة كتاباتهم. وكذلك فان معظم ابناء قبيلة قريش الذين عاصروا محمد وكان لديهم معلومات اوليّة قد ماتوا في الحروب، او أصبحوا يسكنون في أماكن مختلفة من أطراف الامبراطورية. ولذا فأن اي قرآن تواجدَ كان مقبولاً، واقتنع اصحابه ان ما لديهم أكان جزءاً ام كاملاً، فهو صحيح. كان بإمكان العباسيين ان ينشروا بسهولة نسخاً "كاملةً" من القرآن، تحتوي كل آيات القرآن ومن ضمنها التعليمات الجديدة عن التغيير في اتجاه القبلة. فلو فعلوا ذلك لكانت النسخ الجديدة ستكون مأخوذة في عين الاعتبار، وان النسخ الجديدة ستكون تحتوي بضع آيات جديدة، مثل السورة 2 :143 – 145 التي تفيد ان اتجاه القبلة قد تغيّر في زمن محمد.

يختار جيبسون اربعة من الكتاب العباسيين ليوضّح ما حدث خلال هذه الفترة. الاول، هو ابن هشام، الذي بدأ باعادة تحرير الكتابات السابقة. واوّل ما بدأ بتحريره هو بما هو معروف :سيرة رسول الله(اي سيرة محمد) وقد أخذ يصحح الأخطاء المريرة التي اقترفها محمد جاعلاً الكتاب مقبول سياسيّاً لذلك الوقت.

ثم جاء البخاري بعد ابن هشام. بدأ البخاري يجمع تقاليد تصرفات محمد وأحاديثه التي يُعتبر انه موثوق بها. فجمع ثلاث مئة الف (300000) حديث وحادثة، لكنه أختار منها 2602 حديث في كتابه،

هاملاً بقية الاحاديث الأخرى معتبراً انها غير موثوق بها. في نفس الوقت شعر علماء مسلمون آخرون بالفراغ الادبي الكامل الذي يحيط بنشأة الاسلام. فجمعوا وصححوا ما قاله الناس عن محمد. لذا فأن الكثير من السجلات الأولية عن الاسلام قد دُوّنت من كتّاب متأخرون جمعوا هذه الاحاديث والعوائد كما نُقِلت اليهم من اشخاص متعددين وليس من السامعين الاولين.

تَبَعَ ذلك الطبري، مؤرخ مسلم عاش من سنة 839 – 923 هجرية. كتب الطبري التاريخ الاسلامي بحسب الاحاديث والتقاليد التي وصلته. بعد ذلك جمع الكاتب ياقوت معلومات جغرافيّة عن الاسلام، لأنه رأى ان هناك تضارباً كبيراً حول عدّة مواقع اسلامية. هو كتب بعد مئات من السنين من نشأة الاسلام، فأنه حاول ان يفسّر المواقع القديمة بحسب الاحاديث والتقاليد المتداولة في زمنه.

نلاحظ ان هؤلاء الكتّاب والمؤرخين الاربعة (نجد سجلا لهم في الملحق أ و ب في كتاب جغرافية القرآن) قد كتبوا سجلاتهم بعد مئات السنين من مجرى تلك الاحاديث ، ثمّ أخذوا بتفسير كتاباتهم بحسب الاجواء السياسية المعاصرة لزمانهم.

قد يُناقش البعض قائلا: ألم يعترض احد على ما كُتب؟ فاذا كان من إعتراض، يجب ان نتذكر ان العباسيين قد أسسوا سلطان حكمهم على أساس ان احد افرادهم كان ذو قرابة لمحمد. ثانيا، ان افراد قبيلة قريش اصبحوا موزعين في ارجاء الامبراطورية. لكن العديد منهم قد قتلوا في الثورات. أضف الى ذلك انه تواجد العديد من العلماء المسلمين في بغداد ممن كانوا يساندون القرآن الجديد وموقع مكة. فمن يريد الحوار بعد هذا؟ يبدو ان العباسيين كانوا يشجعون ليس فقط دراسة الدين بل سائر العلوم . وفي السنوات اللاحقة، برز العشرات من العلماء في بغداد، حتى اصبحت بغداد مركزاً مشهوراً عالميّاً للعلم والمعرفة.

مع هذا كله، نجد انه كان يوجد فريق من الناس في العربية، بالقرب من مكة، لكنهم كانوا يعلّموا ان الحج الى مكة هو أمر مغلوط. فقام هؤلاء بثورة ناجحة واستولوا على عاصمة البحرين – الهجر، ثم مدّوا نفوذهم على الاحساء حيث اتخذوها عاصمتهم ودعوا سلطتهم، الدولة القرماطية. حاول هؤلاء القرامطة ان يمنعوا الحجاج من التوجّه الى مكة. قاوموا الحج الى مكة بشراسة الى درجة انهم كانوا يكمنون في طريق قوافل الحجاج ويذبحونهم. ثم حدث انه في سنة 929 هجرية احتلوا مكة وملئوا بئر زمزم بجثث الحجاج ونزعوا الحجر الاسود. واذ اخذوا الحجر الاسود واحتجزوه، توقّف الحج الى مكة مما احدث ازمة في الاسلام. عند هذا وافق العباسيون في سنة 952 هـ جرية على دفع مبلغ كبيرٍ من المال لاسترجاع الحجر الاسود. لكن لما أُسترجِعَ كان الحجر قد انكسر الى عدّة قطع. امّا القرامطة فتمّت هزيمتهم على يد العباسيين سنة 976 هجرية، عند هذا عدّل القرامطة اهتمامهم وركّزوا نشاطهم داخليّاً، واصبحوا قوّة محليّة فقط.

يعترف جيبسون انه واجَهَ بعض المصاعب في بحثه. يعود السبب الى ان العديد من المخطوطات قد جرى التلاعب فيها لتكون "صحيحة سياسيّاً" ، وهذا جعله يستصعب في تحديد ماهية محتويات الكتابات الاصليّة. تبعاً لذلك كان عليه ان يُعيد قراءة النصوص ليكتشف الاماكن التي نسي المحررون تغييرها. مثلا، ان كان قدُذكر بان اتجاه الصلاة هو نحو البتراء، لكنه تغيّر الى مكة في جنوب العربية، فكان على الكتّاب والمحررون اللاحقون ان يجدوا الوسائل المناسبة لتغيير المخطوطات الاوليّة ليبدّلوا كل إشارة الى البتراء وتغييرها الى مكة. مثال آخر على ذلك، هو حين قيل ان تكون القدس القبلة لإتجاه الصلاة. نجد هذه الفكرة

على الاغلب في الكتابات المتأخرة حين أخذ الكتّاب العباسيون يعدّلون الكتب، ولا نجد ذلك في الكتابات الاولى. حتى كلمة " الاقصى" اصبحت تشير الى القدس كيما تُعطى القدس أهميّة وكأنها النقطة المركزيّة للقبلة. لذا يجد الباحثون اليوم صعوبة في قراءة النصوص وما كانت تحتويه أصلاً قبل ان يقوم المحررون اللاحقون "بتحسينها" لتلائم الاتجاهات السياسية والدينية السائدة.

يشير جيبسون مثلاً الى مشكلة في كتابات البخاري حيث يقول ان اتجاه القبلة هو نحو الشام، الاسم العربي لدمشق. مما يعني هذا انها كانت لجهة الشمال (شمالي البتراء) لكن بعد بضعة أسطر يقول ان القبلة الاولى كانت نحو القدس. وبعد عدّة صفحات أخرى يشير البخاري بوضوح الى ان دمشق تعني "الشام".

يعتقد جيبسون الى ان القبلة الاولى كانت تشير الى البتراء، وكان العرب يشيرون اليها ببلاد الشام، لان البتراء كانت مقاطعة سوريّة رومانيّة. هذا يشبه القول كأن نقول في جملة، إننا نصلي باتجاه أُونتاريو وفي جملة أخرى نقول نحو تورنتو(تورنتو اكبر مدينة في مقاطعة اونتاريو بكنده). في كلا الحالين، إما ان البخاري او كاتب مجهول قد أدخل كلمة القدس في النص لكنه نسي ان يغيّر النص الاول – الشام الى دمشق.

ينهي جيبسون كتابه قائلاً: ***ان اشدّ جدلٍ يُعارض بان مركز " المدينة المقدسة" الاسلامية هو البتراء في شمال العربية وانّه قد تمّ تغييرها الى جنوب العربية خلال السنوات الاخيرة من حكم الامويين' هو ان القرآن يشير الى هذا التغيير في زمن محمد. النص القرآني الذي يشير الى هذا موجود في سورة 2 :142- 147 . لاحظ ان القرآن لا يقول الى اين كانت تشير القبلة الاولى، فهو يوافق فقط ويخبرنا الى ان القبلة تغيّرت نحو الجامع المقدس. كما يوافق على ان تغيير اتجاه القبلة هو أمرٌ مهمٌ فقط للجميع ما عدا المنقادين بالله. ؟؟؟***

ان كان القرآن هو كلام الله ونسخة عن الطبعة الاصلية الموجودة في السماء، اذن فلا يمكن التغيير او التصحيح فيه. يعرف كل المسلمون في كل مكان إستناداً الى هذه الآيات ان اتجاه القبلة قد تغيّر خلال حياة محمد. يخبرنا العديد من علماء المسلمين الذين عاشوا بعد محمد بمئات السنين، ان القبلة الاصليّة كانت باتجاه القدس. كما يؤكدوا انه عندما جاء الوحي لمحمد للسورة الثانية فانه وقف في جامع المدينة والتفت متجهاً نحو الجنوب بدل الشمال(نحو سوريا). مع هذا فالقرآن لا يعطينا أية علامة عن اتجاه القبلة الاول، ولا عن القبلة الجديدة، كل ما في الامر انه يقول انها باتجاه الجامع المقدس...

يقول المعطى 14 :7 : أخبرني يحي عن ابن مالك عن ابن سعيد ابن مصيعب قل:"ان رسول الله صلى نحو بيت المقدس لمدة ستة عشر شهراً بعدما وصل الى المدينة. ثم ان اتجاه القبلة تغير قبل شهرين من معركة بدر."

كل هذه الاقوال والاحاديث المتناقلة تقف مقابل أدلّة علم الآثار والبراهين التاريخية والنصوص الادبيّة التي تشير الى ان القبلة قد تغيّرت بعد سبعين سنة من الهجرة، وان هذا التغيير قُبِلَ تدريجياً بعد المئة سنة التي تلت. كذلك توجد مئات المؤشرات القويّة بان الكتّاب اللاحقون قد لعبوا في السجلات المقدسة ووضعوا تواريخ جديدة لتساند نظرياتهم. فما الذي حدث فعليّا في العربية بعد ألف ومئتي سنة؟

عندما نقارن الأدلّة الجغرافية المتوفّرة لدينا من الكتّاب في زمن العباسيين مع ادلّة علم الآثار ومع السجلات التاريخية و الادبية نجد ان هناك تفارق واضح لهذا الاختلاف.

ان النتيجة التي وصلتُ اليها(بكل يقين) هو ان الاسلام قد تأسس في شمال العربية بمدينة البتراء. ان الاجزاء الاولى من القرآن قد أوُحيت هناك قبل ان يُجبَر اتباع الاسلام على الهرب الى المدينة (يثرب). إذن فان محمد لمَ يزُر مكة اطلاقاً ولا حتى الخلفاء الاربعة من بعده. لم تكن مكة على الاطلاق مركزاً للعبادة القديمة، كما لم تكن طريقاً للقوافل التجاريّة في العربية. ان العرب كانوا يحجّون منذ زمن بعيد الى الاماكن المقدسة في البتراء، والتي كانت تحتوي العديد من المعابد والكنائس. انه في البتراء كان يتواجد 350 من الاصنام، والتي قد كُشِفَت من بين انقاض الزلازل وعُرِضَت في الساحة الرئيسية للبتراء. وفي البتراء أمرَ محمد بإزالة كل الاصنام ما عدا واحداً الذي هو الحجر الاسود. وبقي هذا الحجر في كعبة البتراء الى ان نقله اتباع ابن الزبير الى قرية مكة في العربية ليكون في مأمن من الجيوش الأمويّة. واليوم يوجّه المسلمون صلواتهم نحوه بدلاً من الوجهة التي قال لهم عنها محمد الى بيت المقدس في البتراء.

انني لا أجد أي تفسير آخر للحقائق التي اكتشفتها، سواءً من الدلائل الأثرية او التاريخية او الادبية. هذه هي اكتشافاتي الشخصيّة. مع هذا، في نفس الوقت، انني منفتح ومتقبّل لكل مزيد من العلم، وللتعرف اكثر عما كان يجري في العربية في الزمن القديم.

ان كنت تود دراسة هذا الموضوع بإسهابٍ اكثر، يمكنك ان تشتري كتاب "جغرافية القرآن" حيث تجده مليء بالشواهد والملاحظات والصور الجويّة والبيانات وخطوط الوقت والسيَر الشخصية وغيرها. سيكون من الشيّق ان تعرف ردود الفعل من العلماء الغربين او الاسلاميين بعد ان يدرسوا المواد المذكورة في كتاب جيبسون.

جغرافية القرآن

هو بحث وتقييم للأماكن المذكورة في القرآن مع الحلول المقترحة.

لحل المشاكل والمواضيع الغير واضحة فيه.

كتاب بالغلاف القاسي، إصدار 2011 تأليف دان جيبسون. رقم الايداع:978- 0- 9733642- 8- 6

يعتقد دان جيبسون انه حدث اربع مرات في تاريخ شبه الجزيرة العربية ان إتحد العرب واندفعوا من الصحراء لاحتلال بلاد أخرى حولهم. المرّة الاولى هي المذكورة في القرآن عن شعب عاد. يصف الكتاب المقدس هذه المرحلة عندما اتّحدت القبائل العربية تحت قيادة الادوميين في أرض عوز. وصفهم المصريون القدماء ب الهكسوس او ملوك الرعاة الذين غزوا مصر. واذ إندمجت هذه الصفات الثلاث سوية، يرى جيبسون ايضاحاً واضحاً لهذا الاتحاد القوي من خلال الموجودات الاثرية في مصر وفلسطين والعراق والاردن واليمن وعُمان. وفي النهاية سحقَ المصريون هذا الاتحاد وما بقي من قبائل تشتت الى مجموعات صغيرة منتشرة و معزولة في الصحراء.

مرّةً أخرى إتّحدت هذه القبائل، هذه المرّة تحت قيادة المديانيين. تفيد السجلات القرآنية وتلك من الكتاب المقدس، بوضوح انّه عندما اتّحدت القبائل العربية تحت قيادة المديانيين فأنهم تحدوا الشعوب التي تقع خارج شبه الجزيرة العربية. لكن هزيمتهم جاءت هذه المرّة من المشرق.

وحدث ايضا بعد عدّة قرون ان قبائل إسماعيل تبوأت القيادة، تحت تعليمات قبيلة الانباط ، الذين يرجعون الى الابن الاكبر لأسماعيل. لكن هذه الامبراطورية كانت تختلف في اهدافها اذ انها كانت تهدف الى التوسّع التجاري وليس العسكري. يدعوهم القرآن شعب ثمود، المشتقّة من كلمة أُود. اما اليهود فدعوهم الانباط، ودعاهم الرومان العرب. وقامت الامبراطورية الرومانية سنة 106 م بضم الجزء الشمالي من مملكتهم وهكذا اختفوا عن الانظار.

وأستمر وضعهم السياسي هكذا الى سنة 600 م حين أتّحدت شبه الجزيرة العربية تحت راية الاسلام . ومرّة أخرى انطلقت القبائل العربية من الصحراء الى البلدان المجاورة. لكن هزيمة هذه القبائل لم تكن بالامر السهل هذه المرّة ، وقد تمكّنت جيوشهم من الوصول الى الصين شرقا واسبانيا غربا والنمسا شمالا.

بامكانك طلب هذا الكتاب بواسطة الانترنت على الموقع التالي:

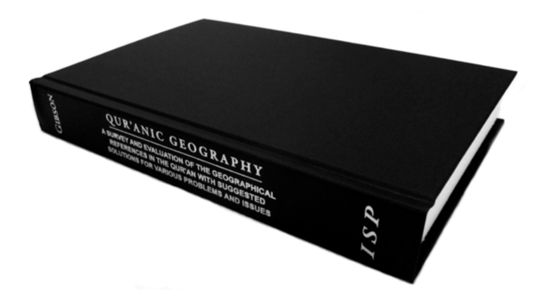
http://indipress.ca

يحتوي الكتاب على اكثر من دراسة عن عظمة التوسّع العربي عبر العصور. لكن هذا الكتاب يتفحّص الشواهد الجغرافيّه في القرآن مقابلاً شواهده بالقرائن مع السجلات التاريخية الاقليميّة. تظهر المفاجأة عندما يتفحّص جيبسون "مدينة الاسلام المقدسة، المعروفة ب مكة". هنا يجد جيبسون الايضاحات الدامغة ان "مدينة الاسلام المقدسة" هي مدينة البتراء في شمالي العربية. يستنتج انه خلال فترة من الحروب الاسلامية الاهلية بعد مئة سنة من قيام محمد، دمّرَت الكعبة ونُقِلِ الحجر الاسود الى موقعه الحالي في مكة بالسعوديه. يتفحّص جيبسون الأدلّة الاثرية والتاريخية والادبية التي يدعم بها حجّته ويعالج الكثير من الاستفسارات التي تتبادر الى ذهن القاريء الباحث.

يحتوي الكتاب ايضاً العديد من الشواهد، وكذلك اللوائح المفيدة من ضمنها اثنان وثلاثون صفحة من تاريخ الاسلام من سنة 550 – 1096 هجرية، وعشرون صفحة من سجلاّت السيّر الشخصيّة من المصادر الاسلامية المبكرة حسب الترتيب السنوي من سنة 724 – 1100 م بالاضافة كذلك الى لائحة من المخطوطات القرآنية. يتألف الكتاب من 470 صفحة وفهرس.

محتويات الكتاب

النسخة الخاصّة تجليد قاسي – سعر النسخة 40 دولار مضافاً اليها تكليف الشح



Qur'anic Geography

A survey and evaluation of the geographical references in the Qur'an with suggested solutions for various problems and issues.

Hardcover Edition, 2011, by Dan Gibson

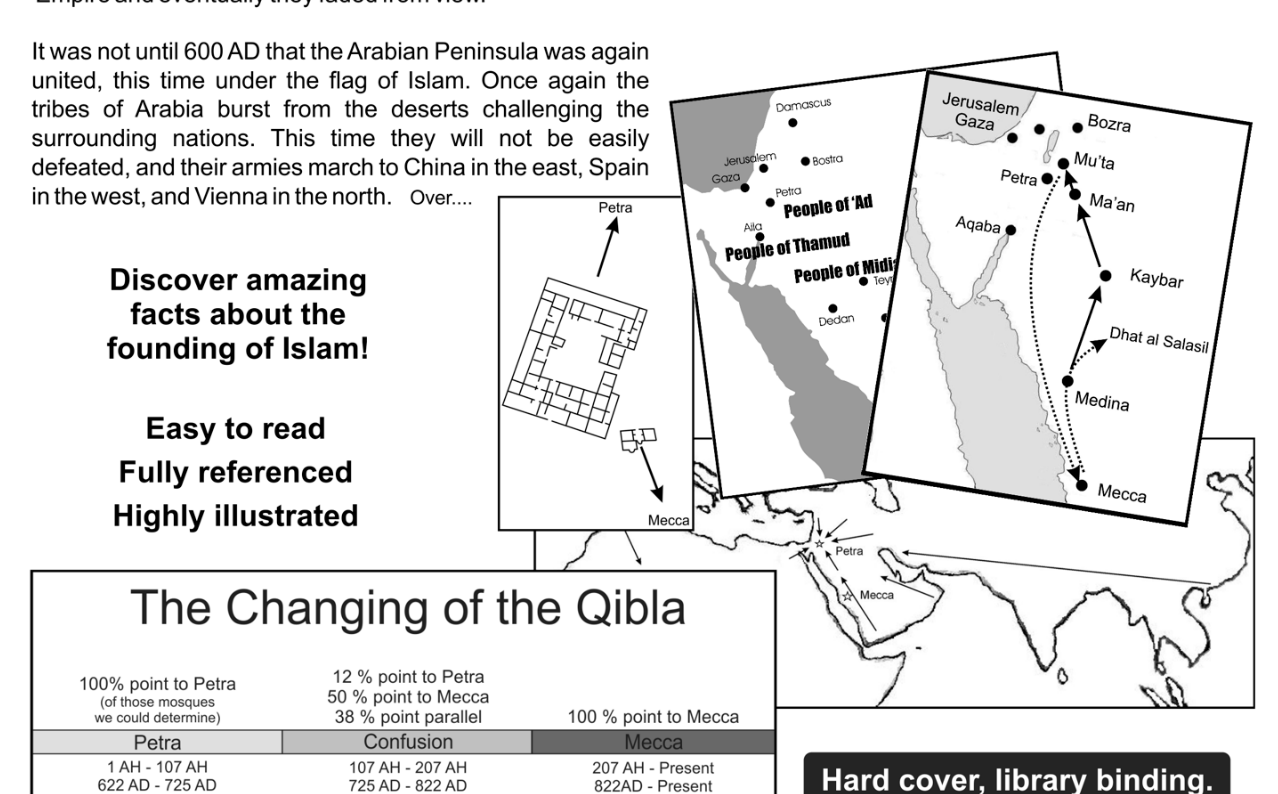
ISBN: 978-0-9733642-8-6

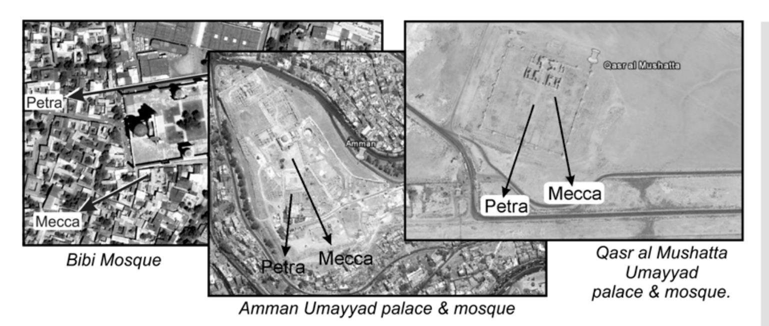
Dan Gibson believes that four times in the history of the Arabian Peninsula, the Arabs united and burst forth from the deserts conquering other nations. The first is described in the Qur'an as the people of 'Ad. The Bible describes these as an alliance of tribes led by the Edomites, living in the land of 'Uz. The Egyptians described them as Hyksos, or shepherd kings who invaded Egypt. By combining these three identities together, Gibson sees evidence of this powerful alliance from archeological remains in Egypt, Palestine, Iraq, Jordan, Yemen and Oman. In the end the Egyptians crush the alliance and the remaining tribes disperse and become small, isolated tribes in the desert.

Eventually Arabia unites again, this time under the leadership of the Midianites. The Qur'anic and the Biblical records clearly remember when the tribes united under Midianite leadership and challenged the nations outside of the peninsula. This time they meet their defeat in the Levant.

Many centuries later, the tribes of Ishmael take leadership, this time under the direction of the Nabataean tribe, descendants of the eldest son of Ishmael. This empire would be different, for the backbone of this empire was trade not military force. The Qur'an calls them the people of Thamud, meaning "after 'Ud". The Jews called them Nabataeans, and the Romans simply refer to them as Arabs. In 106 AD the northern part of their kingdom was absorbed into the Roman Empire and eventually they faded from view.

It was not until 600 AD that the Arabian Peninsula was again united, this time under the flag of Islam. Once again the tribes of Arabia burst from the deserts challenging the surrounding nations. This time they will not be easily defeated, and their armies march to China in the east, Spain in the west, and Vienna in the north. Over....





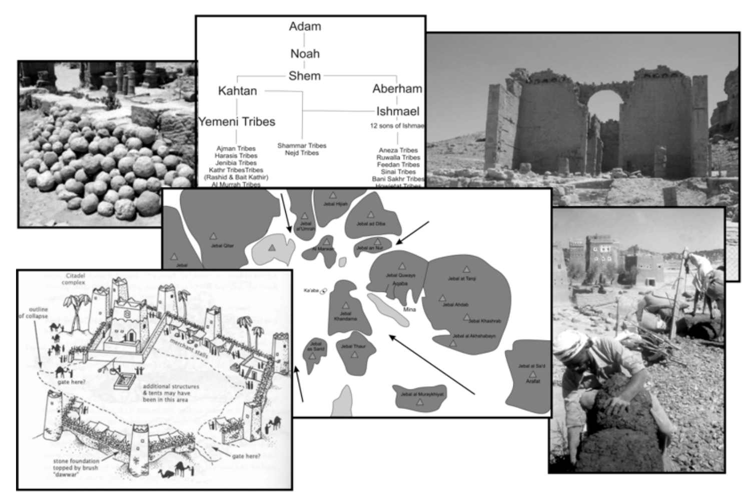
Bibi Mosque

Amman Umayyad palace & mosque

Qasr al Mushatta Umayyad palace & mosque.

But there is more to this book than a study of the four times when the Arabs demonstrated their greatness. This book also examines the geographical references in the Qur'an cross-referencing them with historical locations. The surprise comes when Gibson examines the Holy City of Islam, known as Mecca. Here Gibson finds evidence that the original Holy City was in northern Arabia in the city of Petra. He theorizes that during an Islamic civil war one hundred years after Muhammad, the Ka'ba was destroyed and the Black Rock was moved to its present location. Gibson examines archaeological, historical and literary evidence that support this theory and addresses many questions and objections that readers may have.

This book contains many references, as well as some useful appendices including a 32 page time line of Islamic history from 550 AD - 1095 AD, and a 20 page annotated selected bibliography of early Islamic sources in chronological order from 724 AD - 1100 AD plus a list of many early Qur'anic manuscripts. Over 470 pages, with index.



CONTENTS



Independent Scholars Press
http://indipress.ca
Box 423, 10688 King George Blvd,
Surrey B.C. V3T 5B6, Canada

Hard cover, library binding.
http://indipress.ca/catalog